انتشار التشيّع وتأثيره في النسيج الاجتماعي في غرب إفريقيا

محمَّد الأمين سَوَادغو
باحث في الشؤون الإفريقية – بوركينافاسو

استوطنت إفريقيا كثيرٌ من المعتقدات الوافدة، ومن أبرز أسباب ذلك أنّ الشَّخصية الإفريقية شخصية مرنة، سهلة الاستجابة، تتقبل كلّ شيء، وقد أدرك الشِّيعة الرافضة هذه السمة في الشَّخصية الإفريقية؛ فسعتْ إلى القارة السّمراء، تروّج لمذهبها تحت دعاوى محبّة أهل البيت وموالاة عليّ رضي الله عنه.

وعلى الرَّغم من أنَّ المسلم في غرب إفريقيا سنّيّ العقيدة، مالكي المَذْهب، منذ قرون، فإنَّ التّشيّع أصبحَ يتوغَّل في إفريقيا عامّة، وغربها خاصّة، وأصبحَت الدعوة إلى التشيّع ظاهرة، وهذا ما يستلزم التَّناول العلمي، خصوصاً مع اتجاه الدراسات المنسوبة للمتشيّعين الأفارقة، من مختلف المرجعيات الشِّيعية، نحو أسلوب التَّضخيم والمبالغة عن التمدّد الشّيعي في غرب إفريقيا.

تاريخ الوجود الشيعي في غرب إفريقيا:

إنّ دراسة الوجود الشِّيعي من النَّاحية التَّاريخية في منطقة غرب إفريقيا عملٌ شاقٌّ ومهم؛ لأنّ غرب إفريقيا تمثّل منطقة شاسعة، تضمّ: (بوركينافاسو، موريتانيا، السنغال، غامبيا، الغابون، غينيا بيساو، غينيا كوناكري، ساحل العاج، مالي، غانا، نيجيريا، النيجر، سيراليون، توغو، ليبيريا، بنين، والرأس الأخضر)، ويزيد عدد سكان المنطقة على «٢٥٠ مليون نسمة»، وهي تمثّل أكبر كتلة مسلمة في إفريقيا، فأغلب سكانها مسلمون، إضافةً أنّها أكثر أجزاء القارة من حيث الوحدات السياسية، والازدواجية في التَّقسيم الدِّيموغرافي.

والتَّمدّد الشِّيعي في غرب إفريقيا - أو غيرها - من المستجدات الميدانية التي تثير اهتمام الفعاليات الإسلامية والجهات المهتمة بالدعوة وغيرها في غرب إفريقيا اليومَ، وإنَّ المتتبع لتاريخ دخول الشِّيعة والمتشيّعين الأفارقة وغيرهم في إفريقيا بعامّة، وغربها بخاصّة، يُدركُ بوضوح أنَّ دخولهم مرّ بعدّة محطات؛ أهمها:

المحطة الأولى: الجاليات اللّبنانية، أولى نواة الشّيعة في غرب إفريقيا:

منذ حقبةٍ من الزمن هاجر بعض اللبنانيين إلى إفريقيا لغرض التِّجارة والاستثمار فيها، وكان منهم الشِّيعي، والسُّنّي، والنصراني، والدرزي، وتزايد عددهم بشكلٍ واضحٍ مع النصف الأخير من القرن التَّاسع عشر، وكانت المستعمرات الفرنسية في إفريقيا أولى محطات الهجرة اللبنانية إلى القارة؛ لأنّ بعضهم يتقنون اللغة الفرنسية، وتركّزوا في ستة أقاليم كانت خاضعة للسّيطرة الفرنسية بعد الحرب العالمية الأولى، هي: (السِّنغال، وغينيا كوناكري، ومالي، وبنين، والنيجر، وموريتانيا)، بالإضافة إلى مستعمرتي: (غامبيا، وسيراليون) الإنجليزيتَين، ومستعمرة غينيا الاستوائية البرتغالية.

وفَد مع التُّجار اللّبنانيين متشيّعون لبنانيون لنشر العقيدة الشِّيعية في إفريقيا، فشكّلوا النواة الأولى للوجود الشِّيعي في غرب إفريقيا، وقد ازداد نشاطهم بعد تقلّد بعض أبناء جالياتهم مناصب عليا في بعض بلدان إفريقيا؛ فوفَّروا للمتشيّعين حمايةً قانونيةً وغطاءً سياسيّاً؛ وتُرجم «الثقل الاقتصادي للجالية اللبنانية إلى ثقلٍ سياسيٍّ بدخول بعض الأفراد ذوي الأصول اللبنانية إلى البرلمانات الوطنية في الدول الإفريقية، على نحو ما حصل في غينيا بيساو، بينما وصل آخرون إلى منصب مستشار الرئيس كما في غينيا الاستوائية وبوركينافاسو. يُضاف إلى ذلك الاتصالات الشَّخصية للعديد من رجال الأعمال اللّبنانيين بكبار المسؤولين ورجال الدولة في الدول الإفريقية بغية تأمين مصالحهم وحمايتها، وهي اتصالات تتمّ في معظمها على أُسس فردية ولمصالح خاصّة»[1].

المحطة الثّانية: الدبلوماسية الإيرانية:

وقد ظهرت الشِّيعة بشكلٍ منظّم في غرب إفريقيا منذ عام ١٩٤٩م إلى ١٩٩٠م تحت رعاية الدبلوماسية الإيرانية، وهناك مَن يرى أنَّ حقيقة الظهور المنظّم في غرب إفريقيا بدأ بين عامي ١٩٨٠م و ١٩٩٠م؛ لأنَّ معظم بلدان غرب إفريقيا ارتبطتْ علاقاتها الدبلوماسية بإيران في هذه الحقبة[2].

---

(١) اللبنانيون في إفريقيا، تريز منصور، مقال من موقع، مجلة الجيش، بيروت- لبنان، العدد: ٣١١، مايو ٢٠١١م- الموقع الرسمي للجيش اللبناني، موقع/ http://www.lebarmy.gov.lb/.

(٢) التّشيّع في إفريقيا، تقرير ميداني، تقرير خاص باتحاد علماء المسلمين تحت إشراف: لجنة تقصي الحقائق

المحطة الثّالثة: الثورة الإيرانية الخُمَينية:

تعدّ الثـورة الخمينية عـام ١٩٧٩م المحرِّك الأساس للشِّـيعة في إفريقيا، حيث أطلق مشروعاً عالميّـاً بعيد المدى؛ لتصدير ما أسـماه: (الثورة الإسـلامية) التـي تسـتهدف العالم الإسـلامي والمسلمين السنّيين؛ إذ إنَّه من المعروف أنّ النشاط الدعوي الشيعي مقصورٌ على الداخل الإسلاميّ في معظمه الغالب، ولا ينشـط خارج إطار المسلمين؛ فهو غير معنيّ أصلاً بانتشار الإسلام، وإنما معني بذيوع الفكرة الشِّيعية المتمردة في المحيط السُّني، وفي إفريقيا (محلّ الدراسة)، وعند تتبع النشاطات والمؤسسـات التي تأسّسـت في إفريقيا يُلاحَظ أنّ معظمها بدأ عملـه في الأعوام التي تلتْ الثورة الإيرانية؛ بدءاً من عام ١٩٨٣م تقريباً[١].

واسـتطاعتْ إيران طيلة ثلاثـة عقود من العمل المنظّم والمستمر، ومن خلال المنظمات الخيريَّة الإيرانية والعراقية، والهيئات الحكومية والأهليـة، والمراكـز التَّعليميـة والثَّقافيـة، والمشاريع الاقتصاديَّة الاستثماريَّة، إضافة إلى العمل الدبلوماسي الدِّيني، والتَّغطية الإعلامية القوِّية والمستمرة، إيجاد حواضن لعقيدة الشِّيعة الاثناعشـريَّة في غرب إفريقيـا، تتباين حولها المواقف؛ حيث «يعمد المناهضون للتقليل منها، والمناصرون إلى المبالغة فيها، يُضاف إلي ذلك دثار (التّقية) الذي يتلفع به أفراد الطائفة، على أنَّ هذا الحضور الشِّيعي يرقى إلى حدّ الظاهرة التـي لا تخطئهـا العين في: غانـا، ونيجيريا، والسِّنغال، وكوت ديفوار»[٢].

عوامل انتشار الشِّيعة في غرب إفريقيا:

هناك العديد من العوامل، يتلخص أهمّها فيما يأتي:

١ - تقليل دعم النشـاط الدعوي السـنّي بحجّة مكافحة الإرهاب:

لقد طوَّقت الدول الغربيـة أبرز الجمعيات الإسلامية المموِّلة للدعوة الإسلامية في إفريقيا بحجّة مكافحة الإرهـاب، واتخذتْ من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ذريعةً لمحاربة نشر الإسلام الصحيـح في إفريقيا، فوضعـوا قيوداً صارمةً وملزمةً على الـدول العربيَّة السّـنّية لتضييق الخناق علـى «قطاع العمل الخيـري الخليجي (السُّـني) وما يرافقه من نشـاطات دعوية، ما أدى إلى تخوُّف كثيرٍ من المؤسسـات الخيرية من دمج التوعيـة الدينية مع عملها الخيري...؛ لاسـيما مع توافر أجواء تسمح بلصق تُهَم دعم الإرهاب به مـن قِبَل قوى دولية»[٣]، إضافة إلى التَّفجيـرات وأعمـال العنف التـي حدثت في أكثر من بلـدٍ إفريقي، مثل: (تنزانيـا، وكينيا، والصومال، والجزائر، ونيجيريا)، التي يستغلها الشيعة في «بعث رسالة إلى الحكومات والأنظمة والشـعوب الإفريقية بأنّ البديل (الآمن) للفكر التكفيري العنيف هو الفكر الشِّـيعي ومعتقداته (السـلمية!)»[٤]؛ فجمَّـدت بعـض الجمعيات الدعوية الإسلامية كلّ أنشطتها الضعيفة أصلاً؛ خوفـاً من تهمة الإرهـاب والملاحقة القانونية من دولها الإسـلامية، أو من المنظمات الدولية الغربيَّـة، فانتهز الشِّـيعة هـذه الفرصة لنفث عقيدتهم الفاسدة في غرب إفريقيا.

بمجلس الأمناء، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص: ١٢٣ - ٢٤٣.

(١) إيران المتجهة إلى إفريقيا تبشيراً واستثماراً، أمير سعيد، مجلة البيان، مجلة إسلامية شهرية جامعة، السعودية، العدد: ٢٨١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م، ص ٤٨.

(٢) التشيّع في غرب إفريقيا، محمد بابكر أحمد، مقال علمي، نشر يوم ٢٠١٣/٧/١م، في موقع/ http://sudaneseonline.com/

(٣) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٤) إيران المتجهة إلى إفريقيا تبشيراً واستثماراً، أمير سعيد، مجلة البيان، ص ٤٩.

٢ – عوائد النَّفط العراقية:

سقطت العراق السّنّية بيد الشّيعة، وتحكمها الآن مرجعيات شيعية مرتبطة بإيران، وأصبحت العراق مصدر تمويلٍ للشـيعة الرافضة في كلّ إفريقيا، وبخاصّة غربهـا؛ حيث وُجّه «جزءٌ من عوائد النفط إلى النشـاط الدعـوي بإفريقيا، واسـتغلال ارتفاع أسـعار النفـط أثناء حرب الكويت، ثم العدوان على العراق، وما تلا ذلك من ضخٍّ أموالٍ لتُصرف على التشييع بإفريقيا»[١].

٣ – ضعـف دور المؤسسـات التَّعليميـة الإسلامية السنّية في غرب إفريقيا:

يلاحظ كلُّ متابع لحال الدعوة الإسلامية في إفريقيا تراجع دور المؤسسات التعليمية العريقة والقوّيـة من الدول العربية والإسـلامية، مثل: جامعة الأزهر الشَّـريف، الذي كان منبع العلوم الإسلامية ومصدراً لنشـر الإسلام في القارة، كذلك الجامعة الإسـلامية بالمدينـة المنورة، وجمعيـة الدعوة الإسـلامية العالميـة بليبيا، وجامعـة الزيتونة في تونـس، وأدى ضعف دور هذه المؤسسات الإسـلامية السنّية إلى ظهور بيئة مناسبة لنشر العقيدة الشِّيعية الرَّافضية.

٤ – تضييق الدول الغَربية على نشر الإسلام الصحيح في غرب إفريقيا:

يمارس الغرب ضغوطاً على الدول الإفريقية لفتح أبوابهـا أمام المدّ الشِّـيعي ليكون بديلاً للإسلام السّـنّي الصّحيح، ففرنسا وأمريكا – مثلاً – راضيتان وداعمتان لوجستيّاً لـ «النشاط الشِّـيعيّ في دولٍ إفريقية ذات غالبية مسلمة، كنيجيريا وغانـا وإريتريا وكينيا والسـنغال... وغيرها»[٢]، يعرف الغربـيّ النصرانيّ العلمانيّ الليبراليّ أنّ الإسـلام الصحيح «يمثّل بالنسبة للجنس الأسـود العامـل الحضـاري الأعمق أثراً»[٣]، كما يعرف الغربيّ أنّ الإسـلام السنّي الصحيـح وقايةٌ من كلّ المعتقـدات المنحرفة والتَّغريب.

يفرض اتساع نطاق المدّ الشّيعي في غرب إفريقيا حزمةً من التأثيرات الخطيرة والمدمِّرة المحتملة على النسيج الاجتماعي

أثر التَّشَيُّع في النسيج الاجتماعي الإفريقي:

تَفرض قضية اتسـاع نطاق المدّ الشّـيعي في غرب إفريقيا حزمةً من التأثيرات الخطيرة المحتملة على النسـيج الاجتماعي التي تحمل في طياتها عدّة مخاطر جسيمة ومدمِّرة، لاسيما مع توافر بيئة خِصبة تتسم بحالة القلق؛ بسبب تزايـد وتيرة الفقر وأصحاب النفوس الضعيفة، وتردي الظـروف الاقتصاديَّة في غرب إفريقيا المسـلمة؛ ويمكن تلخيص تلـك التَّأثيرات في المخاطر الآتية:

الخطـر الأوَّل: تفكيـك النَّسيـج الاجتماعي (الأسرة – الفرد):

دأبت إيران منذ قيام «دولة الشيعة الرافضة» عام ١٩٧٩م في توظيف التّشـيّع؛ بشـكلٍ يهدّد

(١) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٢) إيران المتجهة إلى إفريقيا تبشيراً واستثماراً، أمير سعيد، مجلة البيان، ص ٤٩.

(٣) التيار الإسلامي في الأدب السنغالي، خالد عبد المجيد مرسي، وشيخ حامدو كاني، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، سبها، ليبيا، ط١، ١٩٨٩م، ص ٥٣.

وحدة المجتمعات في العالم الإسلامي.

ويمكن أنْ ألخص آثار التّشـيّع السَّلبي على المسلمين في غرب إفريقيا في الآتي:

١ – زرع الفُرقـة وتعميقهـا في الأسـرة الواحدة: زرعت الشيعة في إفريقيا الفُرقة بين العائلة الواحدة، حيث انقسـمت بعض العائلات في غرب إفريقيا إلى قسمَين: قسم على عقيدة أهل السـنّة والجماعة، وقسم آخر على عقيدة الشـيعة، بينهما بغضٌ وكراهيـةٌ وفُرقة وتناحرٌ كامل، وصل إلى انقطاع رحم بينهما، والسّـبب هو دخول الرافضة في إفريقيا.

٢ – تفكيك قوّة المسلمين ووحدتهم: هناك ضعفٌ وارتباكٌ في صفوف المسلمين في غرب إفريقيا اليومَ، كان المسـلمون قوّةً متماسكةً في إفريقيا بعامّة، وغرب إفريقيا بخاصّة، لكن منذ أنْ ظهرت الشّـيعة الرّافضـة اختلفوا وذهبت قوّتهم، فالمتشيع الإفريقيّ لا يصليّ في مساجد أهل السـنّة والجماعة، والسّـنّي ناصبيٌّ عند الشّيعة الرّافضة، والسّبب هو الشّيعة الرّافضة التي ظهرتْ بمعتقداتٍ باطلةٍ في إفريقيا.

٣ – تمزيـق أواصر الأخـوّة والمحبّة بين المسـلمين: السُّنِّي في غرب إفريقيا لا يصاهر الشِّـيعيّ، وكذلـك العكس، لوجـود تناحرٍ بين الطائفتَين، فـي حين كان الأفارقة في الماضي يتصاهـرون بالرغم من اختلاف مذاهبهم، فقد كان المعيار الوحيد عند المسـلمين في إفريقيا هو «اعتناق الإسـلام»، لكن لمّا دخلت الشـيعة وطعنت في الكتاب والسنّة، وشكّكت في نصوص الدّيـن الصريحة، وطعنت في الصحابة وأمّهات المؤمنيـن – رضي الله عنهـم جميعاً –، أصبح السُّـنِّي يفارق المتشـيع ويبتعد عنه؛ لأنّه صار فيروساً خطيراً يسـعى لتسميم جسد الإسلام في إفريقيا.

٤ – إضعـاف روح التَّضامـن والتَّعاون بين المسلمين: بمجيء الشيعة ظهرت لهجة العداوة والجفاء التامّ في المعامـلات الاجتماعية بين المسلمين والشيعة في غرب إفريقيا؛ فالشيعيُّ يلعن السّـنّيَّ جهاراً، ويتمنّى لأهل السنّة الموت في أسـوء ظروف، ويفرح بل يمرح بموت عالم سـنّيٍّ، أو بوباء نزل بسـاحتهم، فهناك عداوةٌ حقيقية في الأسـواق والمؤسسات الاجتماعية، ويعامل الشـيعيُّ زميله الشـيعيّ بكلّ حبٍّ وودٍّ وسهولة، ويعبس في وجه السّنّيَّ ويعامله بقساوةٍ، وربّمـا تآمر عليه ليعرقـل إجراءاته ومعاملاته الاجتماعية أو التجاريّة في الدولة.

٥ – تفتيت الصرح التَّعليمي الإسـلامي في غرب إفريقيا: انقسمت المدارس الإسلامية في إفريقيا إلى قسمَين، مدارس سنّية كانت منتشرة في غرب إفريقيا بشكلٍ واسعٍ، ومدارس شيعية رافضية حديثة، تمثّل حسينياتٍ وحوزات وكليات شيعية، يُنفق عليها بسـخاء، الهدف منها خلق هوّة وفرقة لطمس المؤسّسات السنّية، فتسعى لجلب أبناء أهل السـنّة لهذه المؤسسات، وهي خطة لتدمير النسـيج الاجتماعيّ والتّعليميّ في إفريقيا، لأنها تُدخل الأسـرة الواحدة في جدالٍ عقيمٍ عن أسـباب موت الحسين ويوم الجَمَل.. إلخ، ويتباغض أفرادها بسـبب هذه الخلافات التي تشتعل بينهم وهم في غنىً عنها.

٦ – إثارة التناحر والتباغض بين المتعلمين المسلمين: فهناك سِجَالٌ عقيمٌ بين طلاب العلم في المعاهد والمدارس الإسـلامية في إفريقيا وفـي الأنديّة الشـبابية، إضافةً إلى الشّـبكة العنكبوتية الإنترنت، وبين الوجوه الشّبابية التي تشـيّعت، وقد وصل هذا السِّجال ببعضهم إلى صراعٍ دائمٍ وانقطاعٍ كاملٍ، شَحَنَ نفوسهم بالكره والبغضاء.

٧ – فقدان الثقة بين المسـلمين: بسـبب انتشـار التشـيع في إفريقيا فُقدت الثقة بين

المسلمين الأفارقة، حيث قسمهم التشيع إلى الإفريقيّ السنّيّ والإفريقي الشيعيّ الرافضيّ، ومن ثمّ ينظر الشيعيّ الرافضيّ إلى الإفريقيّ المسلم بوصفه ضالاً، فكلّ مسلم لا يؤمن بدين الرافضة ولم يبايع مراجعهم الشيعية فهو ضالٌّ حسب رؤية الشيعيّ الإفريقي.

الخطر الثاني: تزايد احتمالات نشوب صراعات مذهبية وطائفية:

إنّ انتشار الشيعة الرافضة في إفريقيا يزيد احتمالات نشوب صراعات مذهبية وطائفية في كلّ إفريقيا بعامَّة، وغرب إفريقيا بخاصَّة، حيث وُظفّ التشييع لأغراض سياسية لخدمة إيران وحلفائها، قال الشَّيخ محمَّد الحاج حَسَن رئيس «التَّيار الشِّيعي الحرّ» في لبنان: إنَّ «إيران تستخدم الشِّيعة العرب وقوداً لمشروعها الخاص (في المنطقة) الَّذي لا يَخْدمُ الشِّيعة؛ بل يخدم هدفها السِّياسي»[1]، هذا في الوطن العربي، وهو المشروع نفسه في إفريقيا، استخدمت إيران «حبّ آل البيت» في إفريقيا لخدمة أهداف سياسية، ولهذا تدعم الصراعات الطائفية المذهبية بالمال والفكر.

ولم يعد خافياً أنّ التشيع في غرب إفريقيا أصبح يُنذر بإمكانية اندلاع صراعات ذات طابع مذهبيٍّ بين السنّة والشيعة، لا سيما مع انتشار النزاعات والحروب الطائفية في الدول العربية كافة، وتوسعة رقعة هذه الحروب في العالم الإسلامي بما فيها إفريقيا، وستكون ردود الأفعال بلا حدود، وإفريقيا جزءٌ من العالم، تتوغل الشيعة الرافضة فيها بشكلٍ مريب، تخترق المجتمعات كما تخترق النار الهشيم،

يتخذ المشروع الإيرانيّ الفارسيّ الصفويّ من المذهب الشيعيّ غطاءً له يهددنا تهديداً عقديّاً ووجوديّاً، ويهددنا في قيمنا الإفريقية والإسلامية

وتسعى لتفتيت المجتمعات المتماسكة اجتماعيّاً وثقافيّاً.

ويمكن أنْ ألخص تزايد احتمالات نشوب صراعات المذهبية والطائفية في إفريقيا في الآتي:

١ - احتمال انعكاس الصراعات (العربيَّة - الفارسية) على المسلمين في إفريقيا: فالدول السنّية لها حضورٌ قويٌّ في إفريقيا، حيث تموّل المشاريع في بناء الجامعات والكليات التي تنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة المبنية على الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمّة في إفريقيا، وتتبعها الجمعيات والمراكز التي تبني المساجد والمعاهد ودور الأيتام والمشافي وتحفر الآبار وغيرها، وفي المقابل الدول الراعية لنشر التشيّع في إفريقيا تبني جامعاتها ومعاهدها وإذاعاتها ومساجدها وعياداتها ومشافيها ومراكزها، فردود الأفعال متوقعة، ونسبة الاصطدام المتوقعة بين أبناء هذه الدول وأتباعها عالية.

٢ - تصاعد حِدّة الطعن في الصحابة وأمّهات المؤمنين - رضي الله عنهم أجمعين - في الخطاب الديني للشيعة الرافضة في غرب إفريقيا: وقد تهوّر المتشيعون في نشر مطوياتهم وتسجيلاتهم التي تحوي ذلك، وسيُقابل هذا

(١) مقال بعنوان: الشيعي الحر.. إيران تستخدم الشيعة العرب وقودًا لمشروعها الخاص، موقع مفكرة الإسلام، نشر يوم السبت ٢٣ مايو ٢٠١٥م.

التهور الشـيعيّ الرافضيّ من قِبل أهل السـنّة بتصحيح علنيّ، وقد يحدث اصطدامٌ بين الحقّ والباطل.

٣ – فتـح جامعات شـيعية في مناطق ذات أغلبية سـنية، بدعم ماديٍّ سخيٍّ لها: والغرض من هذا التنافس غيرُ الشـريف زرع البلبلة بين المسلمين السـنّيين، وإشعال فتيل الفتن بينهم، ويعتمد الشـيعة على علمانية الدول الإفريقية لاستفزاز السنّيين في مناطقهم.

٤ – تجاهـل الحكومـات الإفريقية لخطر الشّـيعة الرافضة في إفريقيـا، وتركيزها على ما يسـمى بـ «التّطرف السّـنّي»: فأهل السنّة والجماعة في غرب إفريقيا طائفة مسـالمة، لا تعرف التَّطرف ولا الغلو فضلاً عن السّلاح، وإذا خـرج منهم بعض الجهلاء باسـم الجهاد وغير ذلك؛ فهـم بريئون منهم، فتجاهـل الحكومات الإفريقية لخطر الشـيعة الرافضة في إفريقيا خطأٌ اسـتراتيجيٌّ؛ يسـبّب توترات عميقة بين المسلمين في إفريقيا.

٥ – تحريض إيـران للحكومات الإفريقية على مؤسسات أهل السنّة والجماعة في إفريقيا: إيران تستخدم الحقيبة الدبلوماسية والعلاقات الحكوميـة بينها وبين حكومات الدول الإفريقية للتحريض على المنظمات السنّية؛ فتتهمها بنشر التطـرف وتكوين الحـركات الجهادية القتالية، ويا للأسـف الشـديد! بعض الحكام الأفارقة يصدّقون هذه الأكاذيب، فيصدرون قوانين تمنع عمل المؤسسات الإسلامية السـنّية أو تعرقل أعمالها فـي إفريقيا، وهذا سيسـبّب توترات مستقبلية، وقد يشعل حروباً لا تبقي ولا تذر.

الخطر الثالث: الشيعة خطر على أمن المجتمع الإفريقي المسلم:

يتعامـل المتشـيعون الجدد مـع أوطانهم بوصفها أوطاناً ثانوية، حيث يتحول انتماؤهم – بعد تشيّعهم – لإيران أكثر من انتمائهم لبلدانهم، وتصبح مدينتهم المقدّسة هي (قُمّ).

تسعى إيران من خلال نشر التشيّع إلى التأثير في أمن إفريقيا، ففي أكتوبر ٢٠١٠م استطاعت السـلطات النيجيرية رصد ثلاث عشرة حاوية شحن تحتوي على أسلحة، بما في ذلك راجمات صواريخ مدفعيـة ١٠٧ ملم، ورصاصات بنادق، والعديد من الأسـلحة الخفيفة الأخرى، وكانت الحاوية مكتـوب عليها من الخارج: «مواد بناء»، وطبقاً للتحقيق الذي أجرته السلطات النيجيرية بعد ذلك؛ فإنّ الشـحنة جاءت من إيران، وكانت في طريقها إلى غامبيا، وردّاً على هذا الاكتشاف قامت السلطات الغامبية في عام ٢٠١٠م بقطع علاقاتهـا الدبلوماسـية مع إيـران، وطردت الدبلوماسيين الإيرانيين من البلاد.

وفي فبرايـر ٢٠١١م قال وزيـر الخارجية النيجيـري أوديـن أجوموجوبيـا: «إنَّ حكومته أبلغـت مجلس الأمـن التابع للأمـم المتحدة بضبط شحنة أسـلحة غير مشروعة قادمة من إيران، اعترضتهـا أجهزتها الأمنية في لاغوس الشهر الماضي... واستجوب محققون نيجيريون أحد الإيرانيين الذي لجأ إلى السفارة الإيرانية في أبوجا عاصمة نيجيريا فيما يتعلق بشـحنة الأسـلحة، بعد أن قام وزير الخارجية الإيراني منوشـهر متكي بزيارة نيجيريـا يوم الخميس، لكنّهم لـم يتمكنوا من اسـتجواب الآخر؛ لأنه يتمتـع بحصانة دبلوماسـية .وقالـت مصادر دبلوماسـية إنّه يعتقد أنّ الرّجلين من أعضاء: (وحدة القدس) التابعة للحرس الثوري الإيراني والمتخصصة في العمليات الخارجية»[(١)].

(١) نيجيريا تبلغ مجلس الأمن الدولي عن مصادرة شحنة أسلحة إيرانية، موقع قناة العربية، نشر يوم الثلاثاء، ١٠ ذو الحجة ١٤٣١هـ / ١٦، نوفمبر ٢٠١٠م.

اعترفت إيران في النهاية أنّها قامت بشحن تلـــك الحاوية، وزعمت أنّ الشـــحنة كانت جزءاً من اتفاقيةٍ ســـريّةٍ أجرتها طهران مع العاصمة الغامبية (بانجول)، ولكنهـــا أنكرت أنها خرقت بذلـــك الحظـــر الأممي على مبيعات الســـلاح الإيرانيـــة؛ لأنّ الصفقة تمّ توقيعها عام ٢٠٠٨م؛ أي قبـــل عامين من فرض حظر الســـلاح على إيران[١].

لقد أدى هذا التدخل إلى انهيارٍ ســـريع في العلاقات التي كانت تربط كلاً من إيران والسنغال مـــن جهة، وإيران وغامبيا من جهةٍ أخرى، حيث استدعت السنغال سفيرها من إيران، وذلك بعد علمها أنّ إيـــران أمدّت الانفصاليين في منطقة «كاسامانس» بالسلاح الذي استُخدم لقتل ثلاثة من الجنود الســـنغاليين[٢]، فقـــد وصل تقريرٌ قدّمه رئيس أركان الجيش السنغالي إلى الرئيس عبـــد الله واد، أكّد فيـــه أنّ القوات الانفصالية لحركة «كاسامانس» استخدمت أسلحة متطوّرة وذخيرة تمّ اســـتيرادها من إيران[٣]، وقد أصدر الرئيس الســـنغالي بياناً قال فيه: «إنّ السنغال تشـــعر بالغضب من أنّ الرصاصـــات الإيرانية استُخدمت لقتل ثلاثة من الجنود السّنغاليين»[٤]،

الاستراتيجية الإيرانية لها أيد غير ناعمة في إفريقيا، تورطت في تصدير الأسلحة لمناطق الصراعات الإفريقية بغية تحقيق مصالح سياسية واستراتيجية إيرانية

وهذه الحالات هـــي المعلنة وما خفي قد يكون أخطر وأعظم، فإيران تتوغل سلباً في إفريقيا، والحروب الطائفية القادمة في إفريقيا سيكون سببها إيران.

يتخذ المشـــروع الإيرانيّ الفارسيّ الصفويّ من المذهب الشـــيعيّ غطاءً لـــه يهددنا تهديداً عقديّـــاً ووجوديّاً، ويهددنا فـــي قيمنا الإفريقية والإســـلامية، الاســـتراتيجية الإيرانية لها أيد غير ناعمـــة في إفريقيا، تورطـــت في تصدير الأســـلحة لمناطق الصراعـــات الإفريقية بغية تحقيق مصالح سياسية واســـتراتيجية إيرانية، ولربما توصّل إيران هذه الأســـلحة بتكليفٍ من الدول الغربية التي تدعم الانفصاليين في كثيرٍ من البلدان الإفريقية.

ويمكن تلخيص المشـــكلة القادمة على أمن القارة في النقاط الآتية:

١ – تكويـــن أحزاب شـــيعية سياســـية في إفريقيا على غرار حزب الله في لبنان، والأحزاب العراقية واليمنية والبحرينية والكويتية: فجماعة الزكزاكي مثلاً في نيجيريا بمثابة كتلة سياسية خطيرة، تعتمد على سياســـة حزب الله اللبناني في تجنيـــد أعضائها، ترمي إلـــى خلق قواعد

(١) Anna Mahjar-Barducci, Iran's charm offensive in Africa.Hudson New York, 18 March 2011, http://www.hudson-ny.org/1974/iran-charm-offensive-africa.

(٢) Senegal severs ties with Iran, Al Jazeera, 23 February 2011. http://english.aljazeera.net/news/africa/2011/02/ca/2011.html.20112239202222389.

(٣) Senegal ends relations; says Iran arms rebels, International Iran Times3March 2011, http://www.irantimes.com/english/index.php?option=com_content&view=artic... says-iran-arms-rebels&catid=98:whats-left&Itemid=425.

(٤) Senegal severs ties with Iran.Al Jazeera, 23 February 2011. http://english.aljazeera.net/news/africa/2011/02/20112239202222389.html..

محليـــة موالية لإيـــران باعتبارهـــا المرجعية الوحيدة، وتزعم مواجهـــة المصالح الغربية في إفريقيا ومواجهة الإمبريالية والاستكبار الغربي لمجرد ذرّ الرماد في العيون.

٢ – أسّســـوا حزباً سياســـيّاً في موريتانيا باسم: (حزب الجبهة الشـــعبية) قبل ١٦ – ١٧ ســـنة: لم يعلن فـــي وقت تأسيســـه أنه حزب شيعي، إلا أنّ فكرة التشـــيع وخدمة الأجندات الخمينيـــة كانتـــا ضمن برامجه، صـــرّح بذلك رئيس الحزب نفســـه قائلاً: «الجبهة الشـــعبية حزب – فعلاً – متأثـــرٌ بالأفكار الخمينية، وهو حزب من الأحزاب التي تأسست منذ حوالي ١٦ إلى ١٧ ســـنة، ومنذ ذلك الوقت نحن على هذا الخط، ونحاول مع القوة اليسارية الموريتانية أن تكون مســـاندة لهذا الخط، خاصّة الخط الذي يتمثّل اليوم في حزب الله وســـوريا والجمهورية الإسلامية، نحن مؤمنون بخطّ الخميني وندافع عنه في موريتانيا، وندافع عنه في جميع الدول العربية، وندافع سياســـيّاً عـــن هذا الخطّ ضدّ الحركات السّلفية، وبعضٍ من الحركات القريبة من الإمبرياليـــة ومن الصّهيونية العالمية، وهذا خطنا مـــن الناحية السّياســـية»[1]، هذا الكلام خطيرٌ على مســـتقبل أمن موريتانيا، فهي دولة ســـنّية على مذهب الإمام مالك، والقبول بحزبٍ سياسيٍّ شيعيٍّ يعني تطبيق النموذج اللبناني في موريتانيا، وهو نموذج سفك الدماء والحروب.

٣ – تسليح أتابعهم وتجنيدهم وتدريبهم: ما يعني أنّ مســـتقبل القارة حروبٌ ودمارٌ وســـفكٌ للدماء، فما علاقة نشر الشيعة بتجنيد الشباب وتســـليحهم في إفريقيا؟! إنّ هـــذا يعني أنهم يخططون للعبث بأمن القارة وبوحدة المسلمين فيها، كما فعلوا ويفعلون بالوطن العربي اليوم.

(١) قناة العربية (مهمة خاصة)، بعنوان: إيران في موريتانيا.

سبل مجابهة التمدّد الشيعي الرافضي في غرب إفريقيا:

لكلّ ظاهرة ســـيئة بدايتهـــا، ويمكن وضع نهايتها وفق خطة مدروســـة، وأهم سبل مجابهة الشيعة الرافضة في غرب إفريقيا ما يأتي:

١ – وضع خطط مدروســـة بعناية شديدة: فالشّـــيعة الرافضة تســـير وفق خطـــطٍ طويلة المدى، ومدعومة من إيـــران وبعض الحكومات الإفريقيـــة، أما جهودنـــا – فغالباً – مبنية على مبادرات فردية أو جماعية عشوائية، ولا تحظى بدعـــمٍ حكومي، ومـــن المهمّ بمكانٍ تأســـيس جمعيـــات ومنظمات إفريقيـــة تقودها كفاءات واعيـــة مقتدرة، تدرس الواقع وترصده بشـــكلٍ جيد، وتشـــرف على الدعاة، وتعدّ لهم البرامج المناسبة لتنفيذها في المدن والقرى في منطقة غرب إفريقيا، وعلى مستوى كلّ دولة على حدة.

٢ – توحيـــد الجهـــود العلميـــة والدعوية لمجابهـــة هـــذه الظاهرة الخطيـــرة في غرب إفريقيا: يقول المثلُ الإفريقيُّ: (اليد الواحدة لا تصفّق)، فعدم وجود تنسيق وتواصل بين العلماء والشخصيات الدعوية من أهل السنّة والجماعة، وقلّة المؤتمرات والمخيمات الدعوية والقافلات الدعوية للاطلاع على خطورة هذا التمدد، يزيد في نفوذ هذا السرطان الخبيث.

٣ – تقوية البعثات الدبلوماســـية التي تمثّل الدول العربية والإســـلامية فـــي غرب إفريقيا: يدرك كلّ مَن يتابع واقع الحياة الدبلوماسية في غرب إفريقيا أنّ بعثة الفرس الدبلوماسية أقوى ميدانياً من دبلوماسية الدول العربية والإسلامية، فتجد السفير الإيراني سفيراً ميدانياً في الدعوة والتّشيّع، بله الملحق الثقافي الذي يتخصّص في الدعوة أصلاً إلى المذهب، بخلاف سفراء كثيرٍ من الدول العربية والإسلامية الذي لا يهمّهم أمر الدعوة الإسلامية.

٤ – تكوين الدعاة من غرب إفريقيا تكويناً جيداً: لا يقتصر على الندوات التي تُعقد بين حينٍ وآخر، والتي لا تعدو أن تكون مجرد لقاءاتٍ لتوزيع شهادات المشاركة والشكر والتقاط الصور التذكارية، فلا بد من تكليف الدعاة الميدانيين بإعداد تقارير سنوية أو موسمية عن خطورة هذا التّمدّد، وأساليب ووسائل مقاومته، يتمّ رفعها للحكومات والمنظمات الدعوية لمناقشتها، ووضع الخطط المناسبة، وإعداد الدعاة، وتوفير الإمكانيات المطلوبة للوقوف في وجه التمدّد الشيعي.

٥ – إيجاد مصادر لتوفير تمويلٍ داخليٍّ أو خارجيّ ينفق على الدعاة الميدانيين وتفريغهم لتوعية المسلمين بخطورة الشيعة الرافضة: فمعظم الدعاة في غرب إفريقيا فقراء، يحتاجون إلى ما يعينهم على القيام بواجبهم وتحمّل مسؤولياتهم الدعوية.

٦ – الاهتمام بالجانب الإعلامي لتوصيل الإسلام الصحيح، وفضح الملل والنحل الفاسدة، وعقائد الشيعة الرافضة: والاستفادة في ذلك من كلّ تقنيات التواصل ووسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمطبوعة وغيرها، والشبكة العنكبوتية، والبثّ والتواصل باللغات المحلية، إضافةً إلى اللغة العربية، والفرنسية، والإنجليزية، وكذلك فتح إذاعات محلية في المدن والقرى، وطباعة البحوث والرسائل التي تناولت القضية بشكلٍ جيد، وترجمتها إلى اللغتَين الفرنسية والإنجليزية، وترجمة الكتب والمطويات وتوزيعها على الطلاب والدارسين، وإصدار المجلات المتخصّصة باللغة الفرنسية والإنجليزية والعربية وبعض اللغات المحلية، لتوعية الناس بخطر الرافضة.

الخاتمة:

من خلال هذا التناول تتبين عدة نتائج مهمّة، منها:

١ – التشيع الرافضيّ دعوةً ووجوداً في غرب إفريقيا أصبح ظاهرة تستوجب التصدي لها.

٢ – لا توجد إحصائيات دقيقة بنسبة المتشيّعين في غرب إفريقيا؛ إذ يلجأ الشيعة إلى سياسة التّقيّة وإخفاء إحصاء أتباعهم، فيقدّمون إحصائيات مزوّرة لأهدافٍ عديدة، منها: خداع المزيد من أبناء المسلمين، ومنها تضليل مَن يدعمهم بأنهم يحقّقون نجاحاً؛ ومن ثمّ لا يمكن أن نعطي أي مصداقية للأرقام الضخمة التي تطرحها «مراكز الشيعة الرافضة في غرب إفريقيا»، فعدد الذين تشيَّعوا من السنغاليين والماليين والبوركينبيين لا يتجاوز المئات، علماً أنّ بعضهم تراجع عن التشيُّع، كما حدث مؤخراً في جمهورية السنغال حين انسحب قرابة نصف طلاب «جامعة المصطفى العالمية» فرع السنغال؛ بعد أن اكتشفوا أنّه تمّ التَّغرير بهم، وأنَّ هدف الجامعة هو تشيّعهم وليس التَّعليم، لدرجة أنّ بعض الطلاب الَّذين كانوا قد ذهبوا إلى (قُم) أصروا على العودة إلى بلدانهم لمّا اكتشفوا الحقيقة.

٣ – أنّ الجالية اللبنانية كانت النواة الأولى للشيعة في غرب إفريقيا منذ القرن التاسع عشر.

٤ – أنّ الثورة الإيرانية الخمينية أصبحت – بعد قيامها – المحرك الأول والداعم الأساس لنشر العقيدة الشيعية الرافضية في غرب إفريقيا.

٥ – استغلال الشيعة لمسألة استشهاد الحسين رضي الله عنه، وحبّ آل البيت، مطيةً للوصول إلى أهدافهم، كما يتخذون من قضية المستعمر اليهوديّ والأمريكيّ والأوروبيّ أسلوباً لغسل أدمغة الشباب الأفارقة.

٦ – ضعف الدعم الرسميّ من الدول السنّية للمؤسسات والكيانات الإسلامية، وتضييق النطاق على العمل الخيريّ الإسلاميّ، ساهم في إخلاء الساحة للمؤسسات الشيعية لتتحرك بسهولة ■